

عنوان الكتاب : كلمات وإشارات

المؤلف : مـى

سنة النشر : ١٩٢٢

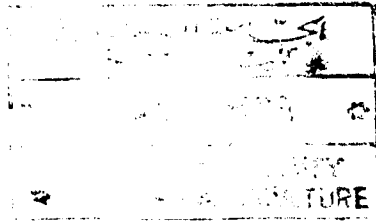
رقم العهدة : د ٩١ / ٤٤٣٣

الـ ACC : ١٢٢٨٧

عدد الصفحات : ١٤٤

رقم الفيلم : ٨

د. پ. 110



١١٥
كَلْبَانِي شَارَات

٤٤٤٤ / ٩١

بقلم

A.C
مي
١٤٤٧

نشرته

مجلة «الرهول»

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

- A.C / ١٤٤٧

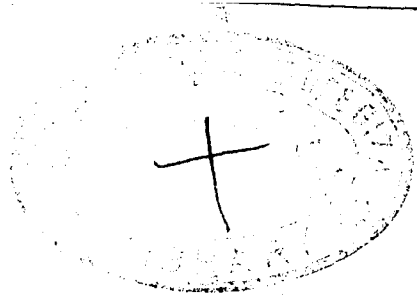
- ٥ - ٤٤٣٣

١١٥ / مطبعة الهلال بشارع نوبار عمرة ٤

يناير سنة ١٩٢٢

ان لمن دواعي الافتخار « للهلال » ان يبرز الى عالم الادب العربي هذه المجموعة الفريدة - نقول فريدة لا من قبيل الاطراء المؤلف بل تقريراً للواقع اذ لا نعرف بين مختلف المصنفات التي نشرتها المطابع العربية مجموعة خطب تضاهي هذه في تنوعها وسلاستها ورشاقة أساليبها وبعده مراميها وجمعها بين طلي الفكاهة وعميق البحث والمغزى، فضلاً عن كونها من قلم آنسة شرقية عربية ان الخطابة مراتب واجود الخطب تلك التي لا يفقدها التدوين شيئاً من محاسنها . فالمطالعة محك الخطابة وتعد الخطبة جيدة متينة اذا تساوى فعلها في نفس سامعها ونفس قارئها . ومن هذا النوع خطب الآنسة « مي » التي بحسب قارئها كأنها تلقى امامه فالى جمهور الناطقين بالضاد ، الى كل شغف بالادب الراقى ، الى كل معجب بالنهضة النسائية الشرقية ، تقدم هذه المجموعة النفيسة - بل الحديقة الادبية الغناء - وملاء قلوبنا الاعتقاد بانهم سيجدون فيها أشهى الازهار وأجملها وافكه الثمرات وأطيبها

اميل زيدان



حفلة « الكوخ الاخضر »^(١)

لا أجرأ على رفع كأسِي لأنّ من رفع كأسه في مثل هذا الموقف وجب عليه تأدية الثمن كلاماً بليغاً . وأنّي لي بالبلاغة ، أنا التي يتعثر لساني في اللفظ العربيّ البسيط ؟ وكيف أُجيبُ بالكلمة المُحكِّمة أنا التي لا اعرف شيئاً ، وقد خاجأتني عنياتكم بقولٍ جميلٍ منظومٍ ومشورٍ وبثناءٍ قد يستحقه عالمٌ قضى عشرات الاعوام في البحث والتنقيب والإنتاج . ولكنه يُدهش فتاةً ما زالت عاكفةً على كتب التلمذة الاولى ، تستظهر من الدروس ما يستظهره طلبة المدارس الابتدائية تقريباً ، وهي فروعاً اعتاد التلاميذ تهيئتها خلال العطلة الصيفية . لم يُبن هذا الكوخ لهذه

(١) أقيمت هذه الكلمة في الحفلة التي أقيمت في منتصف شهر

أغسطس سنة ١٩١١ في ظهور الشور بلبنان

فهرست

صفحة	صفحة
٧٧	١ حفلة « الكوخ الاخضر »
٨٧	٥ حفلة بكفيا
٩٣	١٣ تكريم خليل مطران
١٠٧	٢٢ التعليق على « الشاعر البعلبي »
١١٥	٢٧ المرأة والتمدن
١٢٦	٤٣ في طنطا
١٣٤	٥٥ العجائب الثلاث
١٣٦	٦٥ سوريا الجامعة
	٧٣ حفلة « ثمرة الاتحاد »

الفروض وتلك الدروس فحسبُ وانما أردتُ ان يكون لي أيضاً خلوة أحلمُ فيها وألب وأهو. ولكنكم تجمهروا قربةً ودشنتموه كما دشنت الصروح الكبيرة ، ورفعتهم فوقه علمًا يخفق بين العصون ، وأرتم حوله في هدوء الغياض تصفيقاً وانشاداً

فلمن فعلتم ذلك ، ولماذا أنتم فاعلون ؟

لو علمتُ ان الاحتفاء بي وحدي مجردة لحبس الخجلُ كلمة الشكر على شفقي ولاختلجت يدي وهي تحمل الكأس . ولكنني أعلم ان الغاية من هذا التكريم أبعد من أن تحصر في فتاة وأعظم من أن توجه الى فرد . وانما الغاية منه تشجيع الفتاة الشرقية عموماً التي تقولون لها في شخصي ان في الشرق روحاً جديدة تطلب نهضتها ، وان عيونكم ترقبها وقلوبكم ترعاها منتظرة ما ينم عن رغبتها في النهوض أو عن مجرد ميلها اليه ، لتمدوها بالقوة والتنشيط الممكن

دفعتكم هذه الروح الجديدة الى تحيئ الفرص فاتخذتموني واسطة ، أيها السادة أعضاء لجنة الاحتفال - اتخذتموني واسطة وأردتم ان يكون هذا الكوخ حجراً معنويّاً

في صرح النهضة النسائية ، ورمزتم بهذا العلم الى راية تحرير العقول من الخرافات والاهام ، وما كانت اصوات المهتاف الا اصوات نفوس تحت المرأة والفتاة العصرية على السير الى الامام . « الى الامام ! » هذا ما أردتم ان تقولوا . وأنا التي اتخذتموني واسطة لآظهار هذه الرغبات الحية والعواطف النبيلة أراني الساعة ممتلئة بكرامة وأهمية لم أشعر بها من قبل . تلك نتيجة المسؤولية دواماً . وغداً عند ما أعبُرُ عتبة هذا الكوخ الصغير الذي جعلته حفواتكم عظيماً سأنظر اليه بعينين جديدتين فيتخذ انفرادي فيه معنى أسمی وأجل من أحلام الفتاة وأهوائها وألعابها . لانكم نبهتموني الى انه على فتاة هذا الجيل ان تهدم حدود شخصيتها الفردية الضئيلة لترى المجموع ممثلاً في ذاتها : فتنفع لتنفعه ، وتسير لتسيره ، وترتقي لترقيه

كلّكم تقريباً، أيها السادة أعضاء لجنة الاحتفال ، من ابناء سوريا الذين انطلقوا الى ما وراء البحار باحثين عن ميدان واسع يمتون فيه قوى نشاطهم وذكائهم الفطري . وها قد القيم ، خلال اقامتكم القصيرة في بلادكم ، شرارة الحياة في

دائرة الحركة النسائية. ستمودون اتم الى ديار استوطنتموها
ولكن الشرارة هنا لن تخمد

وبالشخصية الجديدة التي أنلتعوني ارفع الجبهة عالياً
وأرفع الكأس بيد ثابتة والفخر في يتغلب على التأثر والخجل،
وأشرب نخبكم جميعاً. شاكرة اللجنة التي نظمت هذا الاحتفال،
والامير قبلان أبي الموع الذي تصدّره ، والخطباء الذين جمّلوهم
ببياناتهم ، والسادة والسيدات الذين زانوه بحضورهم . ولما كان
من أهم دواعي سروري ان أرى مصر وسوريا متحاذيتين في
هذا الاجتماع ، وان اسمع الخطيب المصري يتلو الخطيب
للسوري مشتركين في المهاتف لمصر وسوريا على هذه
اللقمة البعيدة . فاني أشرب أيضاً نخب القطرين الشقيقين في
هذه الجرعة الواحدة : لتحيي مصر. وسوريا ! ولتحيوا
جميعاً !

٥ حفلة بكفيا (١)

لساني قاصر لا يهتدي الى الكلمات المعبرة عما يهزني
من عوامل التأثر والشكر لأهل هذه البلدة الجميلة الذين
خصوني بالفتات رقيق فاقاموا في هذا العيد العظيم هذه الحفلة
الايقة التي جعلت العيد عندي عيدين . وبأليت لي بعض
ما عند حضرات الخطباء والشعراء من الفصاحة والبراعة
إذن لقابلت درر أقوالهم بالمثل ولما وجدتن متلثمّة في
هذا الموقف

لو كان عندي أزهار ، أيها السادة والسيدات ، لقدمت
الى كل واحد وواحدة منكم زهرة تنطق بنضرتها عن
شعوري . لكنّ الأزهار عندي قليلة جُمعت في هذه الطاقة
الواحدة ، واتم كثيرون . وزهرات الحداث تعيش يوماً
وتموت في غده أما زهرات العواطف فتبقى على نضرتها
دواماً . فاقبلوا إذاً أزهار شكري القلبي وأسّمى عواطف

(١) أقيمت في الحفلة التي أقيمت مساء ١٥ اغسطس (يوم عيد

المغزاء) سنة ١٩١٢ في بكفيا بلبنان

امتتاني . ودوموا سعداء يمرُّ بكم هذا الموسم عاماً بعد عام
واتم ابدأ صاعدون في معارج العز والفلاح

أيها السادة والسيدات ،

أجل ، شرقتا جميل ولكن الروح الشرقية التي تحييها
أجل منه . ومياه الشرق عذبة ، وأعذب منها العواطف
الغزيرة المتدفقة في صدر الشرقي . وكل ما في الشرق من
جبال وأودية ، من مروج وسهول ، من أنهار وأشجار بهي
بهج - وأبهي من كل ذلك وأبهج تلك المكارم الكامنة في
ثنايا الروح الشرقية . والتاريخ الشرقي تاريخ مجد وفخر ولكن
هناك شيئاً أعظم منه وهو الذكاء الشرقي الذي أوجد
التاريخ

هلاً ذكرتم يوم كانت بلادنا نبراس الامم وقائدة
الشعوب ؟ هلاً ذكرتم يوم كانت بلادنا مهد العلوم والصنائع
والفنون ؟

على شواطئنا هذه ، على شواطئ فينقيا القديمة ،
ترعرع الفكر البشري وأطل الرقي من بين غيوم الجهل

والبحر . كان البحر قبل الفينيقيين عصباً فعالجته همتهم
القمساء فأطاع ، وسيرّوا فيه سفنهم طولاً وعرضاً حاملين
الى بلاد قامت على شواطئه ثمرة اتعابهم الفكرية واليدوية
ومبادئ المعارف الاجتماعية .

انحنى الفينيقيون على الارض فشقوا أديمها مستخرجين
من احشائها الثروة والعلال ، وتصرفوا بالمياه الضائعة في جوفها
فاستخدموها لتعزيز الزراعة . لمسوا الصخر فلبي صاغراً ،
وحدّقوا في العناصر فانقادت لهم ، وما زالوا يكدّون ويستنبطون
حتى وضعوا للمستقبل قاعدة ارتقاء متينة

نعم ، هنا ابتدم الرقي ابتسامته الاولى ، وهنا خطا التقدم
خطوته الاولى ، ومن هنا نقلت مبادئ العلوم والفنون
والصناعة والتجارة الى اليونان ، الى الرومان ، الى العالم
قبل فينقيا لم يكن يعرف أهل الحبشة قيمة ما عندهم
من عاج ومواد ثمينة اخرى فسارت اليهم قوافل الفينيقيين
فانتبهوا وتيقظوا . قبل فينقيا لم يعرف أهل الجزر البريطانية
معنى التجارة ، وظلموا جاهلين وجود معادن بها يقوم غناهم حتى
ذهب اليهم قدموس التاجر الفينيقي على ظهر سفينته السوداء

فالفقههم الى ما لديهم وعلمهم أساليب التجارة
 قبل فينيقيا كان الفكر البشري محدوداً مقيداً عاجزاً
 عن ابراز نفسه الى عالم الوجود لصعوبة الكتابة الهيرغليفية.
 فلخص الفينيقيون تلك الرسوم الهيرغليفية العديدة في
 الحروف الابدائية جاعلين لكل مقطع صوتي حرفاً. ومن
 الحروف تتألف الكلمات، ومن الكلمات تتركب الجمل،
 وبين الجملة والجملة على صفحات الاوراق تتجلى الارواح،
 وتحقق القلوب، وتسيل الدموع، ويسطع الفكر الانساني
 بانواره الباهرة

كذلك حملت فينيقيا الى اليونان مبادئ الفنون
 المختلفة وعلمت الامم أساليب الاستعمار. فهل نحن ذاكرون
 انه علينا أن نستخرج من مستقبلنا تاريخاً لا ينجل حياله
 التاريخ القديم؟

لقد قال عنا أهل الغرب ما قالوا فدعهم يفترون؛ ان
 لكل أمة خطة سنتها أقدار الحياة وكل ما في الكون متموج
 الى الابد: فالارض متموجة وامواجها الجبال والسهول

والمياه والبحار، متموجة وأمواجها دوائر ودوام ومد
 وجزر
 والاثير يتموج ناقلاً في تيه الفلك الاصوات والانوار
 والحر والبرد

وفي المادة-تتموج العناصر الكيماوية تموجاً عجيباً
 والنفس الانسانية متموجة بعواطفها وأفكارها ورغائبها
 وأمياها

وكذا أحوال الشعوب تصعد وتنحدر، وترتقي وتنحط،
 وتتقدم وتتقهقر. فما من أمة بلغت شأواً من الحضارة بعيداً
 الا عادت تتراجع أو تتوقف عن المسير زمناً فيه تسبقها الامم
 الاخرى. غير أن هذه الموجات العمرانية الواسعة لا تراها
 وتثبتها الا العصور البعيدة

توقف الشرق زمناً فقال الغرب « هوذا الشرق في
 سبات عميق يشبه الموت ». لكن لم يلبث أن نفص الشرق
 عنه اكفان الهوان ونهض نهضة أدهشت من كان يحسبنا
 في غفوة لا تعقبها يقظة. فبلغت اليابان اليوم مبلغ أرق الامم
 في علومها وصناعاتها ونظاماتها وفي تأهبها لدفع الطوارئ

تملكت ناصية القوتين الهائلتين : الاديبة العامية والوحشية
الخرية . وها هي الصين المأجحة بسكانها كالمثل تنهض بشورتها
الحاضرة ، بعد جهود طويل ، نهضة يرجى منها كل خير .
هذا في الشرق الاقصى : أما في الشرق الاذني فكلنا يذكر
الثورة العثمانية وان لم تأتأنا بكل ما توقعناه من حسن النتائج .
والخلاصة ان المطالع على تاريخنا منذ نصف قرن يعلم أن
الفرق بين ما كنا عليه وصرنا اليه كبير

الثورة العثمانية ! تلك الحركة العظيمة غير الدموية التي
أذهلت الغرب ، لم نستفد منها كثيراً لان الامة لم تشترك
فيها اشتراكاً محسوساً ، بل كانت حركة عسكرية قصر التبديل
فيها على هيئة الحكومة لكنها لم تغير من أخلاقنا شيئاً .
يجب أن تكون الثورة فردية داخلية قبل أن تصير قومية
عمومية : ثورة في الافكار ، ثورة في المبادئ ، ثورة في
الاحتياجات ، ثورة في المطالب ، ثورة في كيفية المعيشة .
يجب أن نغير طبائعنا قبل أن نغير حكمانا ، يجب أن يعكف
كل على اصلاح نفسه قبل أن يتصدى لاصلاح الجمهور .

يجب خصوصاً أن نفهم معنى التضامن وان تتكاتف ليس
لغايات شخصية بل للخير العام والمصلحة العامة التي تشمل
العدو والصديق والبعيد والقريب ، بل تشمل أبناء الوطن
على الاطلاق . والتضامن من ارتقاء الجمهور بمثابة الاعتماد
على النفس من ارتقاء الفرد . وما أقدر الذكاء والتضامن اذا هما
مشياً جنباً الى جنب !

والآن وقد فرغت من الكلام فأعز ما أتني هو ان أرى
ابناء الوطن متحدي الكلمة ، موحدي الغاية ، مترابطين
بالتضامن والتعاون ليعيدوا للشرق عزه الغابر ومجده القديم
وتحتي الاخيرة الى لبنان . لبنان ! يجب ان أنحي لهذه
الكلمة العذبة المحبوبة

لبنان ! هي كلمة واحدة ، هي لفظة صغيرة ولكن كل
الحب وكل الرجاء فيها لانها اسم الوطن الغالي
لبنان ! الامواج الزرقاء الطرية تلثم قدمه والثلوج البيضاء
الطاهرة تكمل جبهته ؛ في صدره قبور الجدود والاحباب
والتربة منه تعطف على بقاياهم عطف الام على رضيعها . وعلى

اكتافه يتنقل أبناءه الأحياء أقوياء بالهمة والنشاط والامل.
ومن هؤلاء ينتظر شبيبة ذكية مفكرة عاملة ، ومنهم
ينتظر مستقبلاً سعيداً وحياءً ومجداً
فليحي لبنان ، وليحي الشرق !

تكريم خليل مطران^(١) الشاعر البعلبي

١

في مدينة بعلبك ١١٢ قبل الميلاد

جلس الامير على عرشه الذهبي المحاط بالمسارج
المشتعلة والمباخر المتقدمة ، فجلس القواد والكهان عن يمينه
وشماله ، ووقف الجنود والعييد امامه ووقوف الانصاب امام
وجه الشمس

وبعد هنيهة وقد انتهى المرتلون من انشادهم ، وتوارت

(١) ارسل هذه المقالة كاتبها اجابة لطلب سليم افندي سركيس
الذي دعا شعراء العالم العربي وكتابه الى الاشتراك بتكريم خليل مطران
بارسال فئات افلامهم لتتلى في الحفلة التي ستقام له لمناسبة الانعام عليه
بالوسام الجيدي الثالث . وقد تليت هذه المقالة مع التعليق عليها في تلك
الحفلة الفخمة التي اقيمت في سراي الجامعة المصرية تحت رعاية سمو
الخدوي السابق عباس حلمي باشا وبرئاسة وحضور شقيقه الجليل
البرنس محمد علي باشا الذي افتتح الحفلة بخطاب منه . وذلك مساء ٢٤
ابريل سنة ١٩١٣

انفاسهم بين طيات أبواب الليل ، وقف كبير الوزراء امام
الامير وقال بصوت تهديجه ضالة الشيخوخة

« أيها الامير العظيم ، قد جاء المدينة بالامس حكيم من
حكماء الهند ذو اطوار غريبة ومذاهب جديدة لم نسمع قط
بمثلا . فهو يدعو الناس الى الاعتقاد بتمصص الارواح من
جسد الى جسد ، وانتقال النفوس من جيل الى جيل حتى
تبلغ الكمال ، وتصير الى مصف الآلهة . وقد جاء الليلة
طالباً الدخول عليك ليعسط تعاليمه امامك »

فهز الامير رأسه وقال مبتسماً

« من بلاد الهند تأتي الغرائب والعجائب فادخلوه

لنسمع حجته »

ولم تمر دقيقة حتى دخل القاعة كهل اسمر اللون ، مهيب
المنظر ، ذو عينين كبيرتين وملامح منفرجة ، تتكلم بلا
نطق عن اسرار عميقة واميال غريبة . وبعد ان انحنى مستأذناً ،
رفع رأسه وتلمعت عيناه وطفق يتكلم عن بدعته ، مظهراً
كيف تنتقل الارواح من هيكل الى هيكل مرتقية بعوامل
الوسط الذي تختاره ، متدرجة بتأثيرات الامور التي تختبرها

متمايلة مع الامجاد التي ترفعها وتقويها ، نامية مع الحب الذي
يسعددها ويشقيها . . . ثم تطرق الى كيفية انتقال النفوس من
مكان الى مكان ، باحثة عما تحتاج اليه من الكماليات ، مكفرة
في حاضرها عن ذنوب اقترفتها في ماضيها ، مستغلة في بلد
مازرعته في بلد آخر

ولما طال الكلام وقد بدت على ملامح الامير سيمًا
الملل والفضج ، اقترب كبير الامراء من الحكيم وهمس
في اذنه قائلاً « كفى الآن فدع البحث الى فرصة ثانية »

فتراجع الحكيم الى الورا وجلس بين السكهان مطبقاً
اجفانه كأن عينيه قد تعبتا من التحديق في خفايا الوجود
واسراره

وبعد سكتة شبيهة بغيوبة الانبياء ، تلفت الامير الى
اليمين والى اليسار ثم سأل قائلاً « أين شاعرنا فقد مرّ زمن
ولم نره . . . ماذا حلّ به وقد كان يحضر مجلسنا كل ليلة ؟ »
فقال احد السكهان « قد رأيته منذ أسبوع جالساً في
رواق هيكل عشتروت وهو ينظر بعينين جامدتين كشيبتين

نحو الشفق البعيد كأنه اضاع بين الغيوم قصيدة من
قصائده «

وقال احد القواد « قد رأيته بالامس واقفاً بين اشجار
السرو والصفصاف فحيته ولم يرد التحية بل ظل غارقاً في بحر
افكاره واحلامه »

وقال رئيس الخصيان « قد رأيته اليوم في حديقة القصر
فدنوت منه فوجدته أصفر اللون شاحب الوجه ، تراود
الدموع أجفانه وتلاعب الغصات بانفاسه »

فقال الامير بصوت تلاحقه الالهفة « اذهبوا وابحثوا
عنه وعودوا به مسرعين فقد اشغل بالنأ أمره »

خرج العبيد والجنود يبحثون عن الشاعر وظل الامير
واعوانه صامتين حائرين مترقبين كأن نفوسهم قد شعرت
بوجود شبح غير منظور منتصب في وسط تلك القاعة

وبعد هنيهة عاد رئيس الخصيان وارتمى على قدمي الامير
كطائر رماه الصياد بنسهم فصرخ به الامير قائلاً « ما الخبر .
ماذا جرى ؟ »

فرفع الزنجي رأسه وقال مرتعشاً « قد وجدنا الشاعر ميتاً في

حديقة القصر » فانتصب الامير وقد علت سحنته سيما الحزن
والكمد ، ثم خرج الى الحديقة يتقدمه حاملو المسارج ويتبعه
القواد والكهان . ولما بلغوا اطراف الحديقة حيث اشجار
اللوز والرمان جلست لهم أشعة السرج الصفراء جثة هامدة
مرتمية على الاعشاب كغصن ورد ذابل

فقال احد الاعوان « انظروا كيف عانق قيثارته كأنها
صبية حسناء أحبها وأحبته فتعاهدا على أن يموتاً معاً »

وقال احد القواد « لم يزل يحدق في اعماق الفضاء
كعادته كأنه يرى بين الكواكب خيال إله غير معروف »
وقال رئيس الكهان مخاطباً الامير « غداً تقبره في
ظلال هيكل هشتروت المقدسة . فيسير سكان المدينة وراء
نعشه ، وينشد النقيان قصائده ، وتثر العذارى الازهار
على ضريحه . لقد كان شاعراً عظيماً فليكن احتفالنا بدفنه
عظيماً »

فهز الامير رأسه دون ان يحول عينيه عن وجه الشاعر
الملتشح بنقاب الموت ، ثم قال ببطء « لا . لا . لقد أهملناه

اذ كان حياً يعلو جوانب البلاد من أشباح نفسه ، ويعطر
الفضاء بانفاسه ، فاذا ما اكرمناه ميتاً تسخر بنا الآلهة
وتضحك منا عرائس المروج والاوذية .. ادفنوه ههنا حيث
فاضت روحه ، وابقوا قيثارته بين ذراعيه ، وان كان بينكم
من يريد ان يكرمه فليذهب الى بيته ويخبر ابنائه بان الامير
قد اهل شاعره فات كئيباً وحيداً منفرداً «

ثم التفت حوله وزاد قائلاً « أين الفيلسوف الهندي؟ »
فتقدم الفيلسوف وقال « ها أنذا أيها الامير العظيم »
فقال الامير « قل - قل ايها الحكيم - هل ترجعني
الآلهة أميراً الى هذا العالم وتعيدهُ شاعراً . هل تلبس روحي
جسد ابن مليك عظيم وتنجسم روحه في جسد شاعر كبير؟
هل توقفه النواميس ثانية امام وجه الابدية لينظم الحياة
شعراً ، وتعيديني لأ نعم عليه وأفرح قلبه بالمواهب والعطايا؟ »
فأجاب الفيلسوف قائلاً « كل ما تشاؤه الارواح
تبلغه الارواح . فالناموس الذي يعيد بهجة الربيع بعد انقضاء
الشتاء سيعيدك أميراً عظيماً ويعيده شاعراً كبيراً »

فانفرجت ملامح الامير واتعشت نفسه ثم مشى نحو

قصره مفكراً في أقوال الحكيم الهندي محدثاً ذاته بقوله
« كل ما تشاؤه الارواح تبلغه الارواح »

« ٢ »

« في مصر القاهرة سنة ١٩١٢ للميلاد »

طلع القمر وأنتي وشاحه الفضي على المدينة ، وامير البلاد
جالس في شرفة قصره ، ينظر الى الفضاء الصافي مفكراً في
مآتي الاجيال التي مرت متتابعة على ضفاف النيل ، مستوضحاً
اعمال الملوك والفاحين الذين وقفوا امام الهيبة ابي الهول ،
مستعرضاً مواكب الشعوب والامم التي سيرها الدهر من
جوانب الاهرام الى قصر عابدين

ولما اتسعت دائرة أفكاره وانبسبت مسارح
احلامه ، التفت نحو نديمه الجالس بقربه وقال « في نفسنا
الليلة ميل الى الشعر فانشدنا شيئاً منه »

فخني النديم رأسه واخذ ينشد قصيدة لشاعر جاهلي
فقاطعه الامير قائلاً « انشدنا شعراً احدث عهداً »

فألحني النديم ثانية وابتدأ يردد أبياتاً لاحد الشعراء
المخضرمين
فقاطعه الامير أيضاً وقال « احدث عهداً - احدث
عهداً »

فألحني النديم للمرة الثالثة واخذ يترنم بمقاطع موشح
أندلسي

فقال الامير « انشدنا قصيدة لشاعر معاصر »

فرفع النديم يده الى جبهته كأنه يريد ان يستحضر الى
حافظته كل ما نظمه شعراء العصر ، ثم برقت عيناه وتهلل
وجهه ، وطفق يرتل ابياتاً خيالية ذات رنة سحرية ، ومعان
رفيقة مبتكرة ، وكنيات لطيفة نادرة تجاور النفس فتملأها
شعاعاً ، وتحيط بالقلب فتذيه انعطافاً

فحدق الامير في نديمه ، وقد استهوته نعمة الايات
ومعانيها ، وشعر بوجود أيدي خفية تجتذبه من ذلك المكان
الى مكان قصي . ثم سأل قائلاً « لمن هذه الايات ؟ »

فاجاب النديم « للشاعر البعلبكي »

الشاعر البعلبكي !

الشاعر البعلبكي .. كلمتان غريبتان تموجتا في مسامع
الامير وولدتا في داخل روحه النبيلة اشباح أميال ملتبسة
بوضوحها قوية بدقتها

الشاعر البعلبكي .. اسم قديم جديد اعاد الى نفس
الامير رسوم ايام منسية ، وايقظ في اعماق صدره خيالات
تذكريات هاجمة ، ورسم امام عينيه بخطوط شبيهة بثنايا
الضباب صورة فتى ميت يعايق قيثارة وقد وقف حوله
القواد والكهان والوزراء !

وامحت هذه الرؤيا امام عيني الامير مثلما تتوارى
الاحلام بمجيء الصباح ، فوقف ومشى جاهماً ذراعيه على
صدره مردداً آية النبي العربي - « وكنتم امواتاً فاحياكم ثم
يعيتكم ثم يحيمكم ثم اليه ترجعون »

ثم التفت نحو نديمه قائلاً « يسرنا وجود الشاعر
البعلبكي في بلادنا وسوف تقربه ونكرمه » وزاد بعد
دقيقة بصوت منخفض « انما الشاعر طائر غريب المزاي
يفلت من مسارحه العلوية ويحجى هذا العالم مغرداً فان لم
نكرمه يفتح جناحيه ويعود طائراً الى موطنه »

وانقضى الليل ، نخلع الفضاء أنوابه المرصعة بالنجوم ،
ولبس قميصه المنسوجة من أشعة الصباح ، ونفس أمير
البلاد تمايل بين عجائب الوجود وغرائبه ، وخفايا الحياة
وأسرارها

نيويورك

جبران خليل جبران

التعليق على مقالة

« الشاعر البعلبي »

قدم سليم افندي سر كيس هذا التعليق الذي نشره في مجموعة
ما أرسل اليه لتكريم خليل مطران بما يلي :

« لما جاءني مقالة جبران افندي خليل جبران نزيل نيويورك
سألتُ الانسة مي ان تتلوها في الاحتفال فاجابت طلي وبعد ان فرغت
من تلاوة المقالة عادت فذيلتها بكلمات صاغها قلمها وابدعها خاطرها ،
ولم يكن التعليق الذي ألقته حضرته قد جاءني عند تقديم الخطبة الاولى
للتطبع فبادرت الى نشر كلمات الانسة مي في هذا المكان قالت : »

هنا انتهيت من تلاوة ما كتبه الشاعر اللبناني نزيل

نيويورك . ان الامير المصري فعل الآن ما ندم الامير
القديم على اهماله . فجاء إحسان المليك إلى الشاعر البعلبي
مصداقاً لقول الحكيم الهندي : « كل ما تشاقه الارواح
تبلغه الارواح » . وصدى الكلمات الاخيرة التي تموجت في
مسامعكم ، أيها السادة ، ما زال يرنّ على أبواب فؤادي مثيراً
فيه ميلاً الى الكلام ، منبهاً في اعماقه شبه قوة اكتفت
بالاصغاء حيناً وهي تحاول الانقلاب الى همس ، الى نعمة ، الى
صوت إنسي ينقل الى عالم السمع سرائر التأثيرات النفسية
في هذا الاجتماع البهي لم نسمع الا أصوات الرجال
مادحة ، مقرظة ، معجبة ، شاكرة ، مفتخرة . وصوتي —
الصوت الوحيد الغريب بين تلك الاصوات القوية الجميلة —
انما ارتفع ليقوم مقام صوت رجل غائب . والآن أريد ان
اتكلم بنفسي وبصوت جنسي . أريد أن أضمّ الى صوت
الفكر العظيم الذي ترتج لدويه دقائق الفضاء ، صوت القلب
الخفي المرتجف الذي ترتعش لمروره ذرات الكيان وتطرب
لصداه خفايا الارواح

لقد اهل الامير القديم شاعره فمات وحيداً كئيباً .

لكن الامير القائم عطف على الشاعر البعلبكي فاحيا بعطفه هذا آمالنا بتقدم الآداب وارتقاء الافكار والعواطف .
 النبوغ قوة سامية يهبها الله من يشاء من افراد الامة ؛ النبوغ شعلة الهية تضيء ظلمات الفوضى التي نجد آثارها في كل زمان ومكان لتضارب الآراء واختلاف المذاهب الفكرية . غير ان تلك القوة السامية تذبل وتجف وتموت ان لم يرطبها اعجاب الجمهور، وينعشها اكرم ارباب البلاد . الشعلة الالهية التي تحاول ملامشة ما يحيط بها من الظلمات الغدافية تنطفئ ان لم تلق نسيم استحسان تتغذى من عنصره السري وتنمو بجوهره الناري . وان وجد في تلك الشعلة قوة ذاتية تغذيها وتنميها الى حين فهي لا تلبث حتى تحرق نفسها بنفسها مطفئة لهيبها بدموعها ، هبيدة حياتها بياسها ، وكانت الشعوب بذلك خاسرة

فاذا كان بينكم ، ايها السادة ، من يريد اكرام النبوغ الذي نحياه اليوم وترية عاطفة الشكر في صدور الرجال فليذهب الى يته ويعلم ابناه ترتيل القصائد الخليلية ، ويضع بين شفتي صغاره رنات تلك الاسجاع الموسيقية ، مضيفاً

ايها هذا المهتاف العذب الجميل : ليحي المليك عزيز النيل

والآن لديّ باقتان : احداها صغيرة انيقة جمعت زهراتها الزرقاء النخيفة على ضفاف نهر الاخلاص الجاري في سهول الاعظام والاجلال كما يجري النيل الفاض بدموع ايزيس في رياض اوزيريس . تلك الزهرات النضرة هي اشارات حبننا لسماء مصر العزيزة ، ورموز تعلقنا بالاريدة المعظمة، وراية شكرنا لدولتكم ايها الامير، لتنازلكم الى تشريف هذا الاجتماع بحضوركم السامي باقتي الصغيرة أضعها باحترام بين يديكم ، يا مولاي ، فاذا حظيت بالقبول كنت بذلك سعيدة

والباقية الثانية اهديها اليك ايها الشاعر العذب . زهراتها - انظر اليها تعرفها - ليست الانثرات من روحك الجميلة . نثرات من روحك وبها اعني حميتك وأحلامك ، دموعك وتهداتك ، ياسك وآمالك . كم من ليلة غادرت العالم الحسني لا طير معك الى تلك العوالم البعيدة القرية المملوءة أنواراً

وطرباً ! كم من ليلة قضيتها منحنيةً على كلومك الشعرية
أراقبُ دماء أحزانك السائلة انعاماً وألحاناً ! كم من مرة ملتُ
أستنشق رائحة دموعك واحلل ألوان أشجانك ؛ ولاشجانك
ألوان بديعة ساحرة كألوان الشروق والغروب ، ولدموعك
أريج عطر مسكر كأرواح الزنبق والفل والياسمين !
هذه باقتي . خذها . انما هي بعض ما تركته انعام
شاعر كبير في نفس فتاة شجية

وكلمتي الاخيرة اوجهها اليكم ، أيها المصريون
الكرام . نحن ضيوف عندكم ، نزلاء في بلادكم ، لكن
كرمكم واخلاصكم ذكرانا بان المواطن أوطان اذا تجاوزت
الأحبة . فعرفنا كنوز نفوسكم ، واقتبسنا بعض عاداتكم ،
وتعشقنا موسيقى لهجتكم واحبينا مصر لاننا احببناكم
هذه يدي اضمها الى الايدي السورية التي تمتد اليوم
لمصاخمتكم . ومياه سوريا ، وغاباتها ، وقمها السماء تحييكم الآن
بصوتي الفتاة — بصوت الفتاة المرتهفة الواقعة امامكم مرددة :

دوموا والكرم رضيع قلوبكم ، والعظمة ريبة نفوسكم !

دوموا مصريين ، يا ابناء النيل العظيم !

المرأة والتمدن^(١)

كلمة شكر اقدمها الى سعادة رئيس هذا النادي سكا كيني
باشا وحضرات أعضائه الكرام . اني أشكر لهم حسن
ظنهم بي ، والبي الدعوة التي شرفوني بها بغاية السرور .
حسن أن يقف المرء في وسط قومه ، ولو مرة في العمر ،
مناجياً من نفوسهم ذلك الجزء الاكثر حساً بما يتراكم
على قلبه من الافكار الجميلة المضنية ، ساكباً امامهم بعض
ما يجول في نفسه من الاماني العزيزات والرغبات الحارات
ناد شرقي يزينه حضور شريقيون . ان نفسي الشرقية
تهتز طرباً لهذا الموقف ، وسأتكم بصراحة وثقة كأني
الطفلة الاولى من عائلة كبيرة ذات لطف وتسامح . طفلة
تتكلم بلا خوف ولا وجل مستسامة لرعاية من هم حولها ،
مستبشرة بدلائل الانتباه البادية في انظارهم وابتسامه

(١) القيت في حفلة أقامها « النادي الشرقي » في العاصمة ليلة
الثالث والعشرين من ابريل سنة ١٩١٤ امام جمهور غفير من اعضاء
النادي والسيدات زوجاتهم وبناتهم

التشجيع المرتسمة على شفاههم . ولا محل للعجب اذا تجاسرت على الكلام في ليلة تسمعكم صوت الدكتور نمر . ان الساقية الصغيرة لا تفقد معناها قرب النهر الكبير ، بل ان جمال تدفقه يكسب ضعفها قوة ، وتعطيها جبرته مجداً ونفراً

الموضوع

أيها السادة والسيدات . نحن في فضل الربيع والحياة تنبض بقوة في كل جزء من اجزاء الكون . وينسان رسول الجمال ونبي النور، يسلم انفاسه الاخيرة تاركاً جماله وانواره في ذمة ايار ملك الورود . اذاً لست بحاجة للبحث عن موضوع احديثكم به فان الفصل المار بنا يوحى اليّ موضوعاً جميلاً : الازهار ، تلك المخلوقات العجيبة التي لا تراها نفس حساسة الا وتشعر بانها ازاء سرغامض قد التفت بألوان الحدائق والرياض وستر معانيه بمطورها . . على ان الوقت ليل ، ورداء الظلام يحجب عن النواظر وضوح الاشياء . والازهار التي تفتح في النهار وريقاتها كأعلام نصر منشورة ، تنكش لملامسة الليل لان رطوبة الليل تدلبها . لكنني سأبدلها بزهرة أوفر منها .

جمالاً وأتم شكلاً وأدعى الى التفكير وأحرى باهتمام ذوي القلوب الغيورة الرحيمة . تلك الزهرة التي تضم في كيانها آيات الحسن الكبرى وأسرار الحنان الذي لا يدرك ولا ينقضي . تلك الزهرة التي يعذبها ظمأ الحرية وتتجاذبها العواصف وتتقاذفها صرعات الزمان منذ أجيال طوال فلا ينقص غصنها ولا يلتوي . تلك الزهرة النارية التي تناول الدهور آمال المستقبل وتنقل من ذرية الى ذرية قيس الحياة العظيم

لقد عرفتم تلك الزهرة العجيبة ، هي المرأة !

تفرقة نصف الانسانية

أيها السادة والسيدات

لقد طافت المدينة انحاء العالم وتلألأت انوارها في القارات الثلاث تباعاً : في الشرق حيث جعلت أحاديث الاقدمين الفردوس الارضي اتقدت شرارتها الاولى فكانت المدينة كالشمس بازغة من بلادنا . وبعد ان نقلت خطوتها الاولين المجيدتين في آسيا وافريقيا تناولتها يد أوروبا ورفعها

في جو الجهل المظلم وهزتها كقبس سحري قائلة : « أنيري العالم ! » فاستنار العالم وغمرنا ضياء العلم الساطع . وكأني بالمدنية ذكرت انها اكثرت من الحسنات الى العالم القديم فذهبت تسعى الى ما وراء البحار البعيدة ، في ذلك العالم الجديد الذي لا تقاليد تقف عثرة في طريق نجاحه ولا هو موثق بسلاسل عادات قديمة تجعل الحياة على عاتق الاحياء عبئاً ثقيلاً . في ذلك العالم البكر الذي قال فيه أحد كبار المفكرين « ان كولبس اكتشفه بينما كان لوثر يحاول هدم العالم القديم

أجل . لقد طافت المدينة انحاء العالم ، ولكن ما حالنا بها ؟ لقد ظهرت معجزاتها في اكتشافات البشر وعلومهم وفنونهم واساليبهم وكيفية معيشتهم الا ان الشقاء ما زال شقاء . ما زلنا نشاهد حولنا الحرب والفقر والمرض والقتل والانحطاط النفسي والعاهات الاخلاقية على تعدد انواعها . وما برحت الشعوب تشكو حكوماتها ، والاطان تشقى بابنائها ، والعائلات تتمعذب بافرادها ، والافراد تتوجع بميولها وتشقى بفراؤها المتناسخة عن وراثت بعيدة وقرية . كلا ! ان المدنية

لم تأت تمام واجبتها بعد ولم تصالح من الاحوال الا البعض اليسير أو المتوسط . وانتم ايها السادة والسيدات تعلمون سبب ذلك النقص وتعرفون موضع الضعف من مدنية القرون المنصرمة . ذلك الضعف الشائن والنقص الهائل ليس الا تقهقر نصف الانسانية ، هو جهل المرأة

قال هوجو : ليس الرجل وحده الانسان ولا هو المرأة وحدها ، بل هما الانسان والانسان هما . كل جنس دون أخيه نصف فقط ولا يصير عدداً كاملاً الا اذا أضيف اليه النصف الآخر . لا صحة للمرأة الا بسلامة دماغه وقلبه ، ولا سعادة للرجل الا بسعادة المرأة

تاريخ المرأة استشهدا طويل :

كيف كان يراها المتقدمون ومنهم افلاطون

سعادة المرأة !

سل عنها الدهور المتدحرجة في هاوية الزمان ، لو كان للدهور لسان لا نباتك بما يديم الفؤاد . المرأة ! لقد جعلتها الهمجية حيواناً بيتياً ، وحسبها الجهل متاعاً ممتلكا للرجل

يستعمله كيفما شاء، ويهجره إذا أراد، ويحطمه إذا خطر له في تخطيطه خاطر. كانت بعد ذلك عبدة شقية وأسيرة ذليلة، ثم ارتقت مع مرور الاجيال الى درجة طفلة قاصرة، الى لعبة يلهو بها السيد في ساعات الفراغ، الى تمثال بهرجة تتراكم عليه الاثواب الحريرية والجواهر الثمينة. ومن منا يدري بما كانت تستره الاثواب الحريرية والجواهر الثمينة من قروح القلب الدامية التي لم يضمدها بشر؟

تاريخ المرأة استشهاد طويل أليم، ومن أغرب الغرائب انها لم تجد لها في القدم صديقاً ولا نصيراً. كانت عامة الشعب تكرهها وتحتقرها وليس ذلك بكثير على قوم جاهلين، تحجرت منهم القلوب وصمت الافهام فهم لا يدركون شيئاً مما يتجاوز دائرتهم الصغيرة. لكنني أرى الامر عجيباً، بل فظيماً، من رجال نحسبهم نوابغ زمانهم وقادة أفكار العالم. لم يذكر شعراء اللاتين من المرأة الا جمال جسدها وليس في قصائدهم ما يدل على تلمس آثار النفس وراء ظواهر الجسد، وجميعهم متفق على تسميتها الشيطان الجميل أو ينبوع المسرات السامة. وشعراء اليونان، أسخيلوس وأوريديس وغيرهما، يسمونها

- ببساطة كاية - « بلية العالم ». أما الفلاسفة فأكتفي بان أذكر هنا كبيرهم افلاطون، افلاطون الالهي، الذي يعتبره تاريخ الفكر امة باسرها، افلاطون ذا الاحلام الغامضة والمبادئ السامية الذي لم يترك موضوع اصلاح سياسي أو أدبي الا عاجله رغبة في اسعاد العالم -، افلاطون لم يفكر قط في تحسين حالة المرأة ولم يهتم في درس اخلاقها واستكشاف درجتها العقلية والاستعدادية. ماذا أقول! ان افلاطون هذا قضى حياته آسفاً لانه ابن المرأة وكان يصرح بازدراءه بامه، ويعتقد أن من كان جباناً من الرجال في هذا العالم فعند ولادته مرة أخرى تنقص روحه في جسد حيوان أو في جسد امرأة... وما علم افلاطون ان امرأة ستعلم الفلسفة الافلاطونية الجديدة في « مدرسة الاسكندرية » وان تلك المرأة لا ينعمها شبابها الغض وجمالها الرائع ان تكون أعلم علماء عصرها. تلك هي الفتاة هيبيثيا ابنة ثيونوس الرياضي الشهير التي قتلت رجلاً في شوارع الاسكندرية في أوائل القرن الرابع فذهبت شهيدة علمها واخلاصها ورغبتها في اشهار التعاليم الافلاطونية الجديدة

أول من رفع شأنه المرأة

صاحب الشريعة المسيحية وصاحب الشريعة الاسلامية

أيها السادة والسيدات

أول من عطف على المرأة واسمعها كلمات الاشفاق والغفران هو يسوع الناصري . وهو أول من سوى بينها وبين الرجل اذ جعل لها خطة واحدة تفضي الى ثواب واحد ، والا فللضالين عقاب واحد . على ان النصرانية حرمتها من وظائف الكهنوت وما برحت طائفة من اللاهوتيين تراها قارورة الخطايا والآثام

ثم جاء نبي الاسلام فرفع شأنها أي رفعة في بلاد العرب اذ حرّم وأد الفتيات وسوّأها بالرجل في جميع الحقوق والواجبات . الا في الشهادة واليراث فان امرأتين تساويان رجلاً . وفي ما عدا ذلك فهي والرجل سواء في جميع الحقوق المدنية ، ويقول العارفون ان لها الحقوق السياسية أيضاً . وللمسلمات ان يكن فقيهات وكانت أول فقيهة منهن عائشة زوجة صاحب الشريعة الاسلامية الذي قال لقومه :

« خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء »

وعليّ أن أذكر هنا اسمي بتراركا ودانتي ، وهما أول من تلمس نفس المرأة من طغمة الشعراء والمفكرين . لقد جعلنا لقصائدهما عرائس تتجلى فيهن ملكات الجمال الادبي ، وهما اللذان ترنما للمرة الاولى بالمرأة ذات النفس السامية والذكاء الوقاد ومقومة عثرات الجنس القوي . من منا لا يعرف لورا وبياتريتيشي ؟ ان هذين الاسمين لا يفترقان عن اسمي بتراركا ودانتي ، وسيكونان أبداً المثل الاعلى الذي تود كل امرأة ان تكون صورة له . هذا المثل الجميل الذي مرّ في مخيلة دانتي فصوره في شعره الساحر قد اخترق ظلمات القرون الوسطى كبرق ساطع . ثم جاء كبير شعراء العالم الحديث شكسبير فجعل ابطال أكثر رواياته من النساء الجميلات ذوات النفوس الكبيرة ، تتلامس في قلوبهن بلطف يشبه تموج النور في الهواء ، أقوى وأعذب شعائر المحبة بأسمى وأوجع عواطف التضحية ؛ وكذلك كانت النساء في روايات كورنيل ، وكلارك ذاكر بلا ريب بولين وكاميل وشيجان . . . ألا تذكرن ؟

لم يكن جميع مفكري تلك القرون من رأي شكسبير وكورنايل، بل كان معظمهم مبغضاً للمرأة، ساخرًا بها ان لم يكن طاعناً فيها . وقد لخص بوسويه أسقف موو أفكار معاصريه وأوردها في جملة واحدة إذ قال بجديته الخبروتية المشهورة :
« خلقت المرأة من ضلع زائد في جنب الرجل ، فلهذا السبب هي عقيمة لا ذكاء في عقلها ولا ادراك في نفسها »
رحمة الله عليك يا بوسويه ! انك لم تكن نبيهاً ! أما كون المرأة مخلوقة من ضلع الرجل فهذا أمر لا رأي لي فيه - غير انني افضل أن تكون مخلوقة من عصير قلبه وعواطفه بدلاً من أن تكون - كوتليتتا - مصورة . وأما كون الضلع زائدة فهذه مسألة فيها نظر ، وعلى كل حال فلست متولية إثبات هذه المسئلة التشريحية ... أو اللاتشريحية

لذلك طانت المدينة عرباء

أيها السادة . لننس هذه الاقوال العتيقة ولننظر الى أحوال الحاضر . ان النهضة النسائية تمتد يومياً في أقاصي المسكونة . انها النهضة عجيبة تبشر بخير عظيم وتنبئ بأن

مدنية الامس العرجاء التي لم تتكىء الا على جنس من الجنسين هي غير مدنية الغد الممتعة بتحقيق الاماني . ليست مدنية الغد مدنية الرجل وحده ، بل هي مدنية الانسانية ، لان المرأة آخذة بالصعود الى مركزها الحقيقي بقرب الرجل . ان موجة النور، نور الارتقاء النسائي، تزداد ارتفاعاً واتساعاً مع الايام . في فرنسا وانجلترا واميريكيا والمانيا وايطاليا تجاهد المرأة جهاد الابطال في سبيل ترقية جنسها وترقية النوع البشري معها . ولقد نالت جميع حقوقها في أسوج وزوج وفنلندا وزيلندا الجديدة وفي بعض الولايات المتحدة ، فهي الآن والرجل سواء أديباً ومدنياً وسياسياً أيضاً . وفي كل من هذه البلاد كان تأثيرها نافعاً جميلاً ، وحيث تقلدت الوظائف العمومية قد قلت الجرائم، وخفت وطأة السكر ، وظهر تحسن محسوس يكاد يكون ماموساً في مستوى أخلاق الامة وفي حالتها الصحية جميعاً

هذه هي المرأة الجديدة ومستودع آمال المستقبل

ما نفعه اليوم المرأة

التي قالوا انها لا تصلح الا للخدمة

كم قالوا فيها انها لا تصلح الا للخدمة البيتية والزينة الجسدية وها هي مصلحة كبيرة ومفكرة عاملة . وكم قالوا انها حيوان جميل وشيطان لطيف وها هي ملك كريم يحاول افهام الرجل ان في الحياة عنصراً سامياً هو كل الحياة . وكم قالوا انها كاذبة خبيثة وان الصدق والاخلاص بعيدان عنها بعد الشمال عن الجنوب ، وها هي آخذة في تهذيب نفسها وملاشاة العاهات التي شوهتها في أزهنة العبودية . وكم قالوا انها مترددة حائرة ذليلة لا تقوى على توليد فكرة ولا تحتمل المسؤولية ، وها هي عزيزة النفس شديدة الحرص على الاستقلال ، منحنية بجرقة على معاني الحياة العميقة . وكم قال فولتر ان فكرها سريع العطب وانه يتحطم تحطماً اذا حاول استفهام ناموس علمي . غريب ان يقول فولتر هذا القول ، هو الذي استعان بامرأة على فهم كتابات نيوتن ، وهي صديقه مدام دي شاتليه ومعربة كتاب نيوتن في ناموس الجاذبية .

ثم اذكروا مدموازل لا بلاس ، وماري كوالسكي ، ومدام كوري ، وعشرات من النساء المشتغلات في العلوم الطبيعية والعلوم المجردة ، والمئات المشتغلات بالفنون والصنائع والحرف المختلفة . في فرنسا خمسة ملايين من النساء يشتغلن حاملات في قلوبهن المسؤولية العائلية والهموم الكثيرة . يخترقن سبل الحياة المحفوفة بالكوارث والابواب داميات القلب ، ولكن شريفات النفس شريفات المقاصد . ومثل ذلك في إنجلترا وفي الولايات المتحدة حيث عدد المعلمات فقط يكاد يبلغ الاربع مئة الف . ويقول الاحصائيون ان في مصر نحو مليون ونصف من السيدات المتعاطيات الاشغال العمومية

قالوا ان العلم يذهب بملظنها

وكم قالوا ان المعارف لم تخلق للمرأة وان العلم يذهب بجمالها وتواضعها ولطفها وانه يجعلها متكبرة جافة محتقرة العائلة هازئة بالرجل ، وها نحن نراها اذا تعلمت زادت جمالاً وحناناً أكيداً واحتراماً للعائلة واجلالاً للرجل . انها الآن تفهم معاني الحياة وتريد بكل قواها ترقية نفسها واعلاء

مداركها وتربية شخصيتها واستخدام ملكاتها في بث الخير والسعادة حولها وعلى كل ما يحيط بها. المرأة الراقية وحدها تعرف ان لها فخراً رئيسياً واحداً وهو ان تكون (أماً) بكل معنى الكلمة وبجميع المعاني التي تحملها هذه الكلمة. وهي وحدها تعرف انها كانت الى اليوم والدة الجسد فقط وتحاول أن تصبح أم الروح أيضاً، أم العواطف وأم الافكار وأم الميول، والمهذبة الكبرى والصديقة العظمى

قالوا لا عقل لها

وكم قالوا انها لا عقل لها وان حياتها سلسلة أهواء متتابعة وتقلبات صيدانية تافهة وها أننا نراها بعيدة النظر ثابتة المقاصد، مغرقة منفعتها الشخصية في بحر المنفعة العامة. انظروا الى روسيا حيث النساء تتألم تألم الرجال وأكثر، روسيا حيث الثورة الفكرية تهيء حتماً الثورة السياسية^(١) كم من فتاة حسنة قد نحت خطيبها ومستقبلها وهنأها حباً بمصلحة وطنها، واشتركت في جمعيات تظن أن في تأييدها خيراً للبلاد

(١) سرعان ما صدقت هذه النبوة !

انصار المرأة ومن هم

المتكلمون على المرأة كثيرون في هذا العصر الفوضوي ولكن انصارها اكثر وهم من ذوي النفوس الكبيرة والرؤوس المفكرة. بل هم اسمن وأشرف رجال زماننا. انهم يحترمون جهادها، ويعترفون بحقوقها، ويقرون بما تأتيه من الاصلاحات الباهرة، ويعجبون باقدامها وثباتها ويرون في نهضتها أيدياً جديدة عاملة لخير الانسانية وتخفيف الويلات عنها. أليس فيكتور هيغو هو القائل ان تحرير المرأة يحل اكثر المشاكل الاجتماعية وبعض المدنية، وانه ينتظر منها وحدها الغاء الحرب في العالم؟

سرارة الحياة في مصر

صوت المرأة من أعماق الدهور

وهو القائل ايضاً ان القرن العشرين هو عصر المرأة. ولقد صدق في نبوته ا في كل مكان تفتح المرأة عينها لنور الحياة حتى في أطراف الشرق الاقصى، في الصين واليابان،

وفي تركيا. وها اني أرى شرارة الحياة تشتعل في مصر أيضاً حيث الرجال يساعدوننا بأقلامهم و بألسنتهم ويمثلهم ، وجل ما يتمنون هو أن تستحق النساء عنايتهم واهتمامهم بامرهن . أجل في مصر تتكسر القيود الدهرية التي طالما عذبت فكر المرأة ونحن اليوم عند عتبة مستقبل باهر في مصر تشتعل شرار الحياة ^(١) والا فماذا يعني وقوفي بينكم ايها السادة ، وماذا يعني سكوتكم الجميل المملوء اصغاء تاماً وتشجيعاً قوياً وتفكيراً عميقاً ؟ . اتكلم الآن بجرقة كأني صوت المرأة الصامت منذ أجيال ، وتستمعون اليّ باشفاق كأنكم نفس الرجل المشتتة منذ ابتداء الدهور . النفس الكبيرة المبعثرة تستجمع قواها للاصغاء ، والصوت الخافت الذي لم يتعود الا همس الطاعة وتمتمة التمرد المبهم يرتفع الآن آتياً من بعيد من عمق أعماق الدهور السوداء ، من اقصى أقاصي الخليقة العجيبة ، آتياً من القبور ، من البحار ، من عناصر الحياة جميعاً صارخاً: أيها الرجل ! لقد أذلتني فكنت ذليلاً . حررني لتكن حراً ، حررني لتحرر الانسانية !

(١) لقد أضرمت الشرارة ناراً في هذه الاعوام الستة !

في طنطا ^(١)

أيها السادة والسيدات

لم أكن أعرف من طنطا الا اسمها ومحطتها يوم شرفتي الجمعية بدعوتها ، فشعرت بشيء يشبه العاطفة التي تغتري المرء عند اقباله على الجهول . ولكن ما لبثت ان عرفت عن هذه المدينة أشياء كبيرة في معناها : علمت ان أهل طنطا قوم تؤلف بين قلوبهم أخوة شرقية كريمة ، ويوحد كلمتهم حب الخير والرغبة في نفع الغريب والقريب على السواء . عرفت ان النساء فيها مثال جميل للمرأة الشرقية الجديدة ، وانهن يسابقن الرجال في اغائة الملهوف والأخذ بيد البائس . عرفت ان هذا الاجتماع ملتقى عدد عديد من خيرة القوم يلتف حول مدير ممتاز جامع لصفات الجندي الباسل والحاكم الحازم

أما قاموس الاخبار الذي جمعت منه معلوماتي هذه

(١) ألفت في الحفلة السنوية التي أقامتها في طنطا جمعية الاتحاد

والاحسان السورية للسيدات مساء ١٤ يونيو سنة ١٩١٤

فهو ذلك الذي يعرف كل الناس وكل الناس تعرفه ، هو الحركة الاديبة الدائمة سليم افندي سر كيس
 جئتكم بالتحية فاقبلوها وحيوا معي الهمة النسائية التي جمعتنا هنا لتطلعنا على ملخص أعمالها الجليلة . حسن أن تكون المرأة عالمة ، وأحسن منه أن تكون فاضلة . جميل أن تكون المرأة مفكرة وأجل منه أن تكون شفيقة رحيمة . فحيوا المرأة التي لا تكتفي بالامومة الجسدية ، بل تريد أن تكون فوق ذلك أمًا للشريد الحزين الذي لا أم له . حيوا ينبوع الحنان والجود المتدفق على الاغراس التي طالما أوجعها ظمأ الفاقة وقد أوجدها الطبيعة في تربة جافة ، وجردها من عطاياها فجاءت المرأة تحنو عليها . حيوا تلك الايدي النحيفة التي تحسن الى الروح والجسد معاً . أيدي قوية على ضعفها تعمل خيرا الانسانية بجد ونشاط كأنها أيدي رجال . حيوا معنى الاحسان السامي الذي يرفع النفس من مستوى الانانية الضيق ويجعلها مشرفة على آفاق الانسانية الواسعة حيث تنمو وتنبسط بالاشفاق والحنان هلاوا للمحسنين ، انهم جبابرة المصور ورافعوا

الانسانية من هوة الذل والشقاء . لهم نصبت الانسانية أجمل التماثيل ، وعند أقدامهم سكبت حار الدموع ، ولقد كافأتهم بان جعلت أسماءهم مقرونة أبداً بما لديها من المعاني الخالدات : الاحسان والشكر والفخر العظيم
 ايها السادة والسيدات

أما الآن وقد تعارفنا فلنأنا نتحدث قليلاً فتعالوا معي الى وطن الاوطان ومهد العالم ، الى الفردوس الارضي ، ولا تخافوا مشقة السفر فهو سفر خيالي . أتذكرون الشجرة الشهيرة ؟ هناك تجتمع الآن أفكارنا حول تلك الشجرة المسماة شجرة معرفة الخير والشر
 موضوع مشترك بين الجميع لا يحمله كبير ولا صغير ، ولكنني أعترف بكونه خطراً لانه يكشف عن حزازات قديمة في الصدور وينبه الرجال والنساء الى الدفاع كل عن آباء جنسه ، فالرجل يقول : هي ! والمرأة تقول : هو !
 لا تغضبي ياسيديتي حواء ، وهون عليك ، ياسيديتي آدم ! ان تفاحتكما ضرورة للعالم وما كان أشقى ذراريكما لولاها . أنهار من المعرفة ، وهل في وسعنا ان نتصور الانسان

جاهلاً والكون مجهولاً إلى الأبد؟ لولا المعرفة ما كان علم ولا كان أمل، ولا كانت فكرة الاستقلال ورغبة الارتقاء؛ وإن لم تكن هذه فماذا يبقى الله من الحياة المعنوية؟

في اعتقاد الاقدمين ان المعرفة تصير الانسان كاله يعرف الخير والشر. وكانوا يخافون كل عالم ويرمونه بالسحر لانه سرق شيئاً من خصائص الآلهة: فياله من اعتقاد عظيم تضمن أمل الارتقاء! كانت المعارف صعبة المنال على طلابها لانها لم تكن عمومية كما هي في عصرنا، بل محصورة في أشخاص لهم أتباع وتلاميذ قد وقفوا حياتهم على حب العلم والحكمة. فاذا ما رغب امرؤ في العلم هجر بلاده وثروته وذهب الى أحد الفلاسفة واندمج في عداد تلاميذه جاعلاً غرضه الوحيد استماع أقوال معلمه والسير بموجبها. وبعد هذا التضحيات أتظنون انه كان يطمئن على أحواله؟ اذكروا ما فعلته كسانثيا زوجة سقراط تسمعوا الجواب على هذا السؤال!

كانت مدرسة سقراط من أشهر مدارس الماضي؛ وكانت كسانثيا زوجته ثرارة، ضيقة النفس، سطحية

المدارك، ترى العلم جنوناً وتحسب زوجها معتوهاً. ففي أحد الايام اذ كان سقراط يخطب في تلاميذه اخذت زوجته تضحك منه، ولما لم يكثر ذلك انقلب ضحكها غضباً وطردت الاستاذ والتلاميذ جميعاً ساكبة على رؤسهم الماء البارد. فتذمر التلاميذ وسألوا الاستاذ ان يكفيهم شر زوجته فاجاب سقراط المسكين: «دعوها تفعل، ان شرستها علمتي الصبر والحكمة:» طوبى لك يا سقراط! ولكن لو كان جميع النساء كن ذكرنا لما كان جميع الرجال فلاسفة بل مجانين. أجل كان الاقدمون يخافون العلم والعلماء واثقين بان السعادة في الجهل المطبق والحمول النفسي. وعلى رغم ذلك فقد كان في وسط تلك الجماهير النائمة الهازئة المعاكسة أفراد بلغوا أعلى درجات السمو الفكري. ذلك لان الانسان لم يخلق الا ليعلم. علم أولئك الافراد فعملوا وأورثونا ثمين الآثار في جميع دوائر المعرفة الانسانية، ووضعوا الأسس الأولى لعلومنا الحديثة. نعم ان تلك الاسس هبطت مراراً لبطلانها واكتشاف ما هو خير منها، ولكنها لا يسعنا إلا إجلال المنقوض منها والباقي لانه نتيجة علم كثير وعمل متواصل

أيها السادة والسيدات

لنا على الماضي امتيازات كثيرة . نعم اننا لا نستطيع
اكل المعارف في نصف تفاحة كما فعل آباؤنا الأولون .
ولكننا نمتاز على الاقدمين بامور جوهرية كثيرة . اننا
نعرف الآن قيمة العلم وان المعرفة صلة الانسان بالاشياء
والسلك الكهربائي الجامع بين ذكاء الفرد وبين المعنى
الحيوي المبعثر في أجزاء الوجود ؛ وان على هذا السلك
العجيب تفيض معاني الانسانية العظمى ألا وهي الاعجاب
والحب والعمل . نعم الآن ان الجاهل سجين نفسه ،
أسير أنانيته ، مستقل بادراكه المحدود ، مكثف بدعواه ،
لا يستقبل جديداً إلا بالطرد ، ولا يذكر حديثاً الا بالتهكم
وسوء الظن . واثن تألمنا من احتكاكنا المحتم به فانا نشفق
عليه لضيق الدائرة الحيوية التي رضي بها ، كأن كل ما لدينا
من الجمال والصلاح والثروة المعنوية لم يخلق له ، بل هو
كائن لسواه !

انما امتياز عصورنا الاعظم هو فكرة التقدم ، والاندفاع
في سبيل الارتقاء . وتوفر المعارف وسهولة نيلها لمن طمح

اليها ، بعد ان كانت محصورة في افراد معدودين . لست من
القائلين ان عصرنا هو العصر الذهبي الذي يحقق الآمال
غير انه عصر عظيم وابن عصور عظيمة بتفكيرها وجهادها ؛
عصر مملوء خيراً لطالب الخير وفيه من اسباب الراحة
وسهولة المعيشة ما يجعل اللذات المادية والمسرات المعنوية ،
واقتراس العلم متوفراً لدى الفقير توفره لدى الغني . لقد
اتسعت العلوم وتعددت فروعها فاتسعت بذلك سطوة
الانسان على الطبيعة وتعددت سبل العمل أمامه . الفلسفة
تنبش أعمال العقول ، والشعر يلمس أسرار النفوس ، والموسيقى
توقع همس الوجدان ، والتصوير ينسج العواطف نسجاً
ويرسم أدق خطوطها ، فاليوم تحقيق أمنية الحكيم القائل :
أيها الانسان اعرف نفسك ! لقد ارتقت الاخلاق ،
ولطفت الشعائر ، ودقت الملاحظة ، وافسحت فكرة الحرية
المجال فتيسر لكل أن يهذب شخصيته كما يريد بعد ان
كان مكرهاً على سبكها في قالب جيرانه ومعارفه . كان
وأد النساء حلالاً ، وقتل الابناء جائزاً ، وفن الاستعطاء

مقدساً . أما الآن فسلطة الأب والزوج محدودة ،
والنفوس عزيزة عاملة تنال ما تنال بالكد والسهر

بالامس كان الناس اثنين : سيّداً مستبداً وعبداً ذليلاً
يباعُ ويشترى كالانعام على غير علم منه . أما اليوم فمبدأ
العدل يُضعف قيود العبودية ، وصوت الحرية ينادي
بالاخاء والمساواة . لقد اتسعت دوائر التجارة وارتقت
الصنائع ، وتبودلت منافع الاقتصاد ، فخلّ السلام والامان
— مبدئياً! — اذ لا غزو يفاخر به ولا اغتصاب يسامح
عليه . والسياسة تحاول تسكين الخواطر والاقلال من
الحروب ما استطاعت . فما أبعد أيام نيرون وماركس
اوريليس والاسكندر والحروب الصليبية . حتى أيامك
يا نابوليون ، حتى أيامك القريبة بعيدة عن هذا العصر الذي
يمنع الانسان ايلام الحيوان ويعلمه الاشفاق عليه (١)

يدعي الماديون ان العلوم وحدها سبب التقدم وعنوان
الحضارة ، فمتى كانت الكيمياء والهندسة أساس المدنية ، ولماذا

(١) لم تمر ستة اسابيع بعد هذه المفاخرة الخطابية حتى فوجيء
العالم بالحرب الكبرى . . .

لا نعتبر الصين اعظم بلاد العالم على الاطلاق لانها مكتشفة
البوصلة ومخترعة آلة الطباعة والبارود؟

ليس في استطاعة العلم الاتحسين أحوالنا المادية . انه
يعلم الانسان استخدام الطبيعة وينمي ذكاهه نمواً شديداً
ولكن لاسطورة له على الاخلاق . وأنتم تعلمون ان العلم
نصف الارتقاء والاخلاق النصف الآخر ، وان شرف
المرء قائم بحسن أخلاقه وسمو مداركه اكثر منه بتعدد علومه
وكثرة اطعمه

ايها السادة والسيدات

معنى المدنية عظيم مطلق . آت من اقاصي الاجيال
مبتغلاً بين آشور وبابل وفينيقيا والصين والهند ومصر وأثينا
وروما . انه مجموعة العناصر العلمية والاخلاقية والحسية
والعملية . كذا يجب أن يكون الانسان فيجمع في شخصه
معاني الانسانية بأسرها . ليست الانسانية عالمة أو طيبة أو
محامية أو تاجرة فقط . بل هي فاضلة معذبة مجاهدة فرحة
حزينة فيلسوفة أدبية شاعرة باحثة فنية . هي قيثاره ذات
الوف الاوتار توقع عليها اصابع الحياة الالحان الرائعة من

تشبيب وتأوه وتهليل ونوح وهتاف

لذلك نرى دواماً في النوابع ذوي الشخصيات الغنية
مزيجاً من عناصر الانسانية جميعاً. نرى الفيلسوف شاعراً
أحياناً، وقد نجد عند الفني والشاعر من الحكمة واصابة
الرأي ما لا نجده عند الحكماء أنفسهم؛ ذلك لان الشعر
والعلم والفلسفة والادب والعمل ليست أموراً منفردة في
ذاتها، بل هي تتلامس وتتجاذب لانها أساليب مختلفة تعبر
بها النفس عن أحوالها المتتابعة. عناصر عظيمة كلها كامن
في عقولنا، مترجرج بين ثنايا مشاعرنا، متدفق في أحلامنا
وأماننا، مكوّن ثروتنا الحيوية التي تفيض ساكبة حولنا نوراً وسماء
قال لاينتز: ان النفس مرآة يجب أن تنعكس على
مياها الصافية صور الانسانية الراقية ومعانيها لتكون صورة
مصغرة لها في الجمال والغاية. لقد عرفنا جمال الانسانية
نماهي غايتها؟ هي أن ترمي إلى مثل أعلى يلمع هنالك في
أقاصي الايام والاماني، مثل أعلى ترى كل عسير في سبيله
هيناً، وينهار في طريقها اليه كل حاجز. غاية الانسانية
المثل الاعلى الذي يعطي الحياة معنى لذيذاً، ويكسبها رونقاً

جديداً، ويضرم في النفس ناراً تحرق الفاسد من ميولها
ويؤهلها لأن تكون هيكل الافكار السامية والمقاصد
الشريفة

إذن فالحياة الانسانية خطوات ثلاث. خطوة من
الجهل الى المعرفة. وخطوة من المعرفة الى الارتقاء. وخطوة
الى ذلك اللامع هنالك في أقاصي الايام والآمال: الى المثل
الاعلى الذي نجمله ويحيينا جميعاً

والآن يأتي صوتي السكوت قبل أن يرتفع بتحية مشتركة
لشطري الوطن العالي: مصر وسوريا
مصر. سوريا

وطن واحد ما زالت العلاقات المتبادلة تزيد كل يوم
توحيداً. السوري في مصر بين أهله وأصحابه، والمصري في
سوريا بين ذويه وأحابه. أنات مياه النيل صدى آهات
النسيم في غابات سوريا، والطبيعة التي تزجر هناك بين
المرتفعات والمنحدرات ترتاح هنا منبسطة على صفحات
المروج الفيحاء

مصر وسوريا، همستان مختلفتان من لغة جميلة

مصر وسوريا، كلاهما محسن وكلاهما محسوب، لكن تبادل الاحسان والمحسوبة يؤيد صداقتها، ويزيد في اتفاقها، ويجعل قلوبها خافقين على وفق نعمة واحدة
مصر وسوريا، فوق صروحها يخفق علم واحد يفاخر الآفاق

مصر وسوريا، صفحتان مجيدتان من تاريخ مجيد. بل شطران جيلان عزيزان من وطن جميل عزيز
هذه تحيتي يا مصر: أثمرها في فضائك بل، صوتي.
وقلبي يردد: لتحي مصر ولتحي سوريا!

العجائب الثلاث^(١)

كان بسكال يقول ان كلمة «أنا» غير مستحسنة؛ ولكن اذا سمحتم لي أن أبدأ بالكلام عن شخصي قلت ان في نفسي ابتهاجاً

قد تتساءلون لماذا، فانظروا الى اجتماعنا هذا تروا فيه الفرد الانساني مكتملاً وناموس الانصاف نافذاً. لم يمر وقت طويل على يوم كان الرجل الشرقي منكرًا على المرأة ما كان يسميه «شر الدرس»؛ يوم كانت المرأة عبدة تخفي جهلها وذلتها تحت الاثواب الحريرية وتنسى قيودها الدهرية لاهية بالأساور والجواهر. ثم حررها الرجل قليلاً قليلاً وصار يدعوها الى الاجتماعات العالمية والسهرات الراقصة، حاسبها زينة من الزينات المكملات لتلك الحفلات اللامعات. ولكن اليوم انظروا! انظروا كيف علت مكانة المرأة لديكم! صرتم تدعونها الى حفلاتكم الأديسة

(١) أقيمت في الحفلة التي اقيمت في فندق كوتنتال مساء الجمعة ٢٨ ابريل سنة ١٩١٦ احتفاءً بمرور ٢٥ سنة على انشاء مطبعة المعارف